امرأة ولكن

رِوَايَة

سارة النشواتي

دار المحرر الأدبي

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

obeikandl.com

obeikandl.com

كلمة أولى لا بدّ منها

ليس لي ذكريات تسرّ من سمع ، ليس لي خاطر عند كتاباتي، رغم حبّي وولعي في أمل الكتابة .

لا أعرف . . .

لكن ثمة وهج يتطاير من عباءة الأوراق . .

ثمة ارتحال إلى ذروة المعنى ، وامتزاج لنحيب اللفظ . .

من يدري بأنني أتمازج مع دفاتري . .

كلُّ رغبةٍ ممزوجةٍ بعبقِ التراثِ المتراكمِ في زوايا تفاصيل الكلمات . .

وأنا أقدّم رواية بلغة شعرية ، اهتم بأسلوبها ولغتها، علّني أصل بموضوعي الذي يجسد معاناة " المرأة " إلى المتلقي .

المرأة عانت ولم تزل تعاني من قهر التسلط والعادات السيئة التي تضر أكثر مما تنفع .

obeikandl.com

الحياة معقدة جدا ، لا يمرّ الوقت إلا ومعه ابتسامة قلقة تصنع فينا فوارقا عدة نتميز بها عن الآخرين ، ما نجهله تماما أن الوقت كالماء ، إن لم تغرقه سيغرقك ، مللنا من الإنصات إلى المدن الكبيرة المتشحة بالازدحام ، أو المدن الخطيرة المتسخة بالانفجارات، لا فرق بين مدن مزدحمة ، تنتظر الزمن كي يعجّل من لحظات الانتظار ، وبين مدن متسخة بالسيارات المفخخة لا تعي إلا الخوف .

الحياة بطيئة جدا بالنسبة لي ، لذلك ما كنت أروم إليه أن أحوك رواية أدبية شخصيتها الساردة " الفتاة " التي كانت تعيش في مدينة (نيبور) * (وهي مدينة المؤلف) المدينة القديمة الحالمة المتلونة بتناقضات التأريخ . .

الفتاة الساردة كانت تعاني من تسلط المجتمع الذكوري ، والعادات السيئة والازدواجية في الذات الإنسانية وغيرها ، لا أريد

---

* نيبور في المصادر الغربية وكذا هو الاسم الأصلي لها عند السومريين . هي العاصمة الدينية للسومرين والبابليين وتأتي قدسيتها من كونها العاصمة الدينية ومقر الاله انليل أو (أين ليل)وزوجته نينليل (نين ليل . وقد ورد ذكره في ملحمة كلكامش من انه هو الذي احدث الطوفان . وهي مقر الاله (آنو) الذي ورد ذكره في شريعة حمورابي .

أن أطوّر شخصيات روايتي إلى حدّ – الغصّ ـ باللغة ولا أريـد أن أطيل في السرد ، إلى حدّ ترهله ، وإنما أردتها أن تكون رسالة تصل إلى الآخرين بعفويتها الأسلوبية ، ونبرتها البريئة ، عسى ولعـل أن تكون عند حسن الظن . .

أثير

obeikandl.com

- العالم بأسره مسرح ، والبشر نساءً ورجالاً ما هم إلّا ممثلون . . لهم مخارجهم ولهم مداخلهم ، وعديدة هي الأدوار التي يمثلها المرء في حياته "

شكسبير

- " الورقة صبور غير أن القارئ ليس كذلك "

جوبير

- " إن كلّ رواية هي بقدر ما قصيدة . . وكل قصيدة هي في بعض الدرجات قصة "

الناقد الفرنسي جان ايف تاديي

obeikandl.com

نعـم . . بـدأ الشـكّ يـذبح خـاطري . . يقبـع بـين فخـذي مروءتي، لم تعد نهود حكاياتي متلهفة للبوح عـن بـروز نتـوءات كلماتي .

ما عاد إلا الصمت ينصـت لفكّـي الليـل ، وهـو يطبـق آخـر تراتيله على وجعي .

الوجع المخبوء تحت أنصال شَـعري الكثيـف ، مـا بالـه حتـى الحواس الخمس ادلهمت علـى وقـع أصـوات المـارة مـن الأطفـال والنساء . .

أوّاه وأنا أعاتبُ لغز شمسي المضيء نحو اللاشيء . .

كم عاتبتُ عيون الشمس التي لا تراني .

هكذا هو الحال ، لا تتشرف نحوي إلا خيوط الشمس العاقة ، ترسم لي ملامح قيامة مجهولة ، سرّ الليـل مـا عـاد شـفرة أثيمـة ، عرفتها النجوم ، وصرّح بها ديك البـدو المتنبـئ لأقـدام المـارة كـل فجر . .

أنا خائفة ، كما الفجر حين ينطوي بين قدميّ النهار الأليم . .

أنا الوحيدة في هذا العالم يتجسس عليّ ، حتى الليل ما بات يستر لهفتي . .

نصحتني نبوءة سخافتي ذات ليلة أن أقوم وارتدي حزني واختلي به ، فصرتُ إلى ذلك ، ارتديت فستاني الأبيض ، و أحضرتُ عدة تلك الليلة من أوانٍ وكعك وعصائر ، وزيّنت الغرفة بالنشرات الضوئية وأشعلت الشموع .

علّقت البالون في الحوش ، أضأتُ ما تبقى من أجهزة الإنارة، أردته أن يأتي ، عشيقي الذي لا أجد غيره ، حزني الأكيد، الظل الذي يرافقني منذ أن ظهرت علامات الأنوثة في جسدي . .

أقمت قداسا للحبِّ ، كان الجميع يصغي لجنوني ، الدجاج القابع في قنّه ، طيور الحُب في القفص المعلق في حوش الدار ، حمَامَات الجيران ، حتى الليل صار هادئا ينصت لإيمائي بالجنون ، وهو يطبق فكّيه على رأسي .

لم يتبقَ غير النجوم تداعب حالي بصمت .

هـرب الظـلام بوجـود الإضـاءة ، البـالون الملـوّن يتحـرك حركات خفيفة جرّاء نسمات الهواء .

أنا الوحيدة جامدة خلف صدر ترهلاتي .

تكاد الفجوة تخنقني بين سهول آلامـي ، ووديـان حقـيقتي ، حقيقة الوجود المغطى بشراشف لهفتي . .

ربّاه كم انتظرنا . .

وانتظرنا . .

وانتظرنا . .

- تُـف عليك يا قبحي ، أأنا قبيحة إلى هذا الحد ؟؟

أأنتَ جميل إلى تلك الدرجة أيها الرجل ؟؟

سأتقيأ نفسي ذات يوم من يـدري . . ربمـا العـالم ، يـدري ! نعم تحققتُ من الأمر ، كل العالم يدري ؛ لأن الكلاب ما عـادت تحرس وحشتي . .

لم أسمـع نبـاح الأمنيـات ، ولم أعـي طرقـا تقصـي حقـائق شهوتي .

obeikandl.com

أكملتُ كلّ شيءٍ ، لم يتبقَ غيره ، حزني ، سأحتفل معه ، سأختلي به ، هو نَفسي ، لا غيره .

- هل رأيتم امرأة تشتهي نفسها ؟

نعم أنا سأشتهي نفسي !! سأتعلم من وحدتي كيف أمارس عاداتي العلنية أمام الملأ " الدجاج وطيور الحُب وحَمَامات الجيران " سترى هذه الكائنات بأنني لستُ وحيدة ، بل سيختلي بي حزني ، وأمارس معه أولى بطولات الأنوثة الجافة . .

مَنْ قال أن أنوثتي جافة ؟

مازال نهداي طريين كحبتين من القطن . .

مَنْ قال أن جسدي غير كفوء ؟

بلى إنه شهي كالقمح في وقت الجوع . .

مَنْ قال أن حدّ الوجه متأخر كالمنية ؟

وجهي قيامة حبلى بالسيمياء ، سميائي بوجهي ، ما فتئ وجهي يتربع على ساحة جَمال المنطقة ، حتى تلك "فوزية " اللعينة ذات الخمسة عشر عاما ليست أجمل مني ، جدائلها تنقصها الرغبة بالحياة ، جدائلي أسمى وإن كان هناك بعض الشيب يمثل

obeikandl.com

مكانا أثيما برأسي ، لكن هذا لا يمنع من إنني أجمل وأنقى ، حتى أن لدي لسان فصيح ، يعوضني عن اشتعال الرأس بالبياض ، تعلمت الفصاحة من الحياة ، قراءة الوجوه والأحلام والآيات المرسومة والمشفرة على وجوه الآخرين .

هيأت كل شيء لخلوتي ، كيف لي أن أمارس الوجود مع الألم ؟ سأتغلب على ألمي . . وربما سيتغلب عليّ . .

الأمر سيان بيني وبينه ، لم اتخذ من حياتي وصلة لأحلامي أو خرجة لذنوبي .

كنتُ حائرة بين ذاتي وبين غموض الزمن المموه بفقاعات الضباب ، وأنا أبحث عن زجاجة تأوي كل نفسي . .

كنتُ أبحث عن زجاجة ، تأوي شهوتي ، فكلي شهوات مخبوءة تحت شر الصبر واحتيالً الأحلام .

كنتُ أبحث عن دفءٍ يخبئ يتامى الروح . .

كلهم أجزاء قلبي . . يتامى . .

هكذا هي الحياة !

كل ما نختاره منها سيكون خبزا قرويا في جيبٍ قروي . .

obeikandl.com

ها أنا أتحمل مأساتي !!

لا أردد سوى أن العالم المجهول يُحفر بابتهالات المناديل الرطبة . . المناديل التي تزف الواهمين إلى منحنيات الوجود والشرف المشكك بالضياع . .

المناديل المبللة بدماء العرسان وقت (الهلاهل) بعد الغثيان .

هكذا هي الحياة . .

تُعلّمنا أن المناديل شياطين من قلوبٍ رطبة . .

ـ بيضاء أو حمراء . . لا فرق . .

ـ لا : الفرق كبير جدا . .

الأحمر : يعني الشرف المؤدي بالسكينة والبقاء . .

الأبيض : يعني الضياع المؤدي للهروب أو الخداع . .

لم أكن أتلمس أن الوجود ، يعني أنك تسهر على كل شيء ، من أجل أجزاء جسدك المتقوقع باللحم المغلف بالعيوب الكثيرة ، وكأن أصابعك تنطوي تحت راحتيك بشهوة الأحلام .

هكذا هي الحياة !

obeikandl.com

سواحل تكتب تجارب الآخرين على بوابات التعب . .

ومزاياها تعلمنا أن الرحيل والبقاء عنصران متشابهان لا يختلفان أبدا .

سيتحد الأنين في يوم ما مع بقايا الفرح ، وسيولدان أنثى اللعاب على الوجوه .

ما عاد اشتياقي لماضيي اللعين ، إلا وسنّ المراهقة عندما تُكوّر نهداي ، كنت حينها أشهى امرأة في العالم .

اشعر أنني لم أزل أشهى امرأة أيضا . . سأدوّن تراتيلا شعرية، وأحلاما وردية ، سأكتبُ ما أريد بوحه بحرية تامة ، سأعاتب ذاتي ، لتشهد أوراقي أنني امرأة من ورق . . يمزقها الماء لحظة هطوله عليها ، لتترقب عيناي طريق العاشقين الخائنين ، أو العاشقيين الخاسرين.

ثمة أمل ، أراه بثقوب الجدار ، بصيص أمل يجردني من كينونتي وبهائي ، ثمة روح خضراء تسكنني ، سأعيرها للآخرين إن لم تكن ذا جدوى لنفسي . .

سمعت صوتا في الدار ، تركتُ غرفتي تحتفل باللعب والأضواء والوحدة ، تحتفل من دوني ، وأنا أترقب الصوت القادم من حجرة أمي .

تقبع أمي في إحدى زوايا الغرفة ، مستلقية بجانب جدتي ، فتحتُ الباب رويدا رويدا ، فارتفع صوت "الشخير" ، تراجعت عدة خطوات بحذر ، وأغلقتُ الباب بهدوء ، أوقفني صوت آخر ، أكثر إزعاجا ، إنها الساعة القديمة ، ودقاتها المزعجة ، انحرفت عيناي نحو الوقت ، وجدته متذبذبا ، عيناي مرهقتان جدا ، لا أشاهد إلا ميلا واحدا ، حاولت ان "افرك" عينيّ ، أعدت النظر إلى الساعة ، دقّقتُ جيدا بالوقت ، وجدتُ الأميال متأخرة جدا ، الساعة تعدت الثانية بعد منتصف الليل ، وأنا بحالة يُرثى لها من التعب .

رحت إلى غرفتي بخمول ، حاولتُ أن افتح الشباك لأرى الكون . . لم أرَ إلا الظلام ، تقوّس ظَهْر الليل ، وحفلتي لم تبدأ بعد ، انطبق عليّ النعاس ، تاركا آثامه على آثامي ، حتى الرغبة أخذت بالخمول .

اللعنة عليك أيها القمر وأنت تركض مثل طفل جائع ، سأنام . . سأنام فعلا تاركة ورائي ذنوبي ، سأنام مستلقية على الأرض وسأؤجل رغبتي إلى اجل غير مسمى ، سأصمت ، ما عادت غريزتي مستيقظة ، اندثرتْ تحت ثيابي ، كما يتدثر النهار تحت ثوب الليل .

obeikandl.com

حمّام نسائي

أو دارسين شتائي

كلُّ شيءٍ صعب في عالمنا الرجولي ، قد لا تسع الفكرة لأنْ نستلقي عراة في باحة الحمّام النسائي ، كثرة النساء القادمات إلى الحمّام يقلل من الضغط النفسي لكهولة عصرنا الذكوري المتسلط على أنوثتنا .

باحة الحمّام واسعة جدا ، النساء يتمددن عاريات ، كل امرأة لها صفاتها الخاصة ، السمينة ، الضعيفة ، الجميلة ، الصغيرة ، الكبيرة ، البيضاء ، السمراء ، جميعهن يتلألأن مثل بلورات ، تُميزهن ملابسهن الداخلية .

ما يميّز الحمّام بخار الماء الصاعد إلى القبة العالية من القاعة ، يبدأ المشهد بنساء ألف ليلة وليلة ، مرورا بحمّامات العصر العباسي ، انتهاء بحمّامات عصر الشاه .

كنتُ أرقب النسوة بعينيّ بتمعن ، وأنا أشاهد مؤخراتهن الكبيرة تتراقص تحت بخار الماء الحار ، والصابون الحلبي .

أما أنا كنتُ عارية أيضا ، طفلة لم تبرز ملامح أنوثتها بعد ، لكنني كنتُ احسب ان الدور قادم لي في يومٍ ما ؛ ليصبح جسمي مترهلا ربما ، ينتابني شعور غريب ، وأنا استلقي تحت الماء الحار ، مع الجمع الغفير من العاريات ، أمرغ جسدي العاري برغوة الصابون ؛ لأزيل ذنوب أوساخي أو أوساخ ذنوبي ، التي بدأت ملامحها تظهر على جسدي ، وأفعالي ، على الرغم من إنني ما زلت سحابة بيضاء ، لم تترهل بعد من أدران المجتمع ، أو نتانة التسلط المفروض علينا .

النساء في الحمّام ، كنّ غريبات الطبع ، وأنا أتأمل واحدة تلو الأخرى ، أجدهن يرقبنني بنظرات الرفض ، فأعود إلى تلمس جسدي ، شعري ، وجهي ، وكأنني ولد ولستُ أنثى ، فلماذا هذا الحياء بغضب من فتاة لم تُرتسم ملامحها بالكامل .

ما يعجبني من الحمّام النسائي ، رائحة الدارسين ، الممزوج مع رائحة الحمّام ، وبخاره المتصاعد .

على الرغم من أدران النساء اللاتي يغسلن أنوثتهن عاريات ، إنهنّ لا يجدن من بدّ إلا ومحاولة الغرور بأجسادهن المترهلة والمؤخرات المنتفخة .

اترك أمي غفلة ، وهي غارقة برغوة الصابون ، تحيط أنحاء جسدها العاري ، أشبه ببطاطة منتفخة ، أسارع نحو موظفة الحمّام لتناول كوبا من الدارسين[1] ، وأعود ، لأجدها غاضبة ، تحاول أن تستنشق نفسا عميقا اثر صبّ الماء من أعلى رأسها للأسفل ، لتصرخ بي :

- أين كنتِ

- ضحكتُ ، وصمت ، وعبّرتُ لها بوجهي ان الحمّام خال من الرجال ، فلِما المراقبة ؟؟

- لم ترد على صمتي ، صمتتْ هي الأخرى بعدما تكابرت على أنها لم تفعل إلا الأصح ، لمراقبتي .

أعود اجلس قربها ، طفلة وديعة ، أتمعن بأدوات الحمّام ، وكأنه حمّام اثري ، يعود إلى عصر نيبور ، فجدتي كثيرا ما كانت تحدثنا عن نساء نيبور ، وأنا أتخيلهن وهن يغسلن بحمّاماتهن المختلطة ، رجالا ونساء .

---

[1] القرفة .

obeikandl.com

لم أتقبل الأمر عندما تخيلتُ إننا الآن نمارس طقوس الاستحمام مع الرجال ، عراة يتمعنون لنا ، ونتمعن لهم ، قد يكون الأمر بشعا عندما تتخيل المنظر ، رجالا عراة بهيأتهم البشعة، وهم يغسلون أعضائهم التناسلية أمام النساء العاريات ، وكذلك تفعل النساء العاريات ، وهنّ يغسلن أعضائهن التناسلية أمام الرجال .

سيكون الواقع عاديا ، أو ربما العكس ، سيصبح المشهد حيوانيا ليس إلا ، أو منظرا جميلا ، خاصة إذا تعوّد المجتمع إلى ذلك ، وستأتي المرأة مع زوجها ، ليكونا عاريين ، من دون سوء أمام الملأ .

مشهد حضاري أو متخلف ، كلٌّ سيحسبه على شاكلته ، أنا ممتعضة جدا لما يحصل ، السلطة الذكورية متسلطة ، ما عاد هناك نضج اجتماعي يؤهلنا لنكون أداتين مختلفتين ، لكلّ حال حاله ، وشخصٍ صفاته ، وبذلك نكون إزاء مجتمع عاقل ، غير أنّ الواقع يسير بجنون ، الجنون نحو الحياة ، أو الحياة نحو الجنون .

- لا فرق ، الفرق الوحيد بيننا أننا عراة .

obeikandi.com

الآن في الحمّام النسائي ، يسخر منا الرجال ، عند دخولنا إليه، أو الخروج منه ؛ لذلك نرتدي (البوشية) للتستر من سخرية المؤمنين ، المنتظرين الصلاة في وقتها !!

obeikandl.com

على مرأى من ذاتي ، كبرتُ أنـا الطفلـة البريئـة ، لأدخـل في مرحلة جديدة ، علّني انصر العمر يوما أو ينصرني هو ، بتشـعباته وتعثراته ، أخذتْ ملامـح أنـوثتي تكـبر ، أحسسـت بثمـة تغـيير حصل في مواجع جسدي ، لأكون فتاة مراهقة .

أشياء كثيرة تغيرت في حياتي ، أولها ترقب أهلـي علـى كـل صغيرة وكبيرة تحصل في حياتي اليوميـة ، منهـا عـدم الخـروج مـن البيت إلا للمدرسة ، لا لعب مع الصـبيان ، لا صـداقة حتـى مـع البنـات ، العزلـة في البيـت ، لمسـاعدة أمـي في شـؤونها المنزليـة ، لأصبح ربة بيت ، وذلك من بديهيات تأهل المرأة لـدخول مرحلـة الزواج ، وإلا ستكون أنثى ناقصة .

هكذا هي عادات الناس ، الخبز والطبخ ، أهم صفات المرأة، بالطبع أنا لم اكتمل بعد ، فغاية الكمال النقصان ، وآخر النقصـان الكمال .

أشياء كثيرة تبدلت في شخصيتي ، لكن الأهم الروح ، روحي عطشى منذ أول وهلة لمراهقتي ، البنات في المدرسة يتشـكلن وفـق

مراهقاتهن ، الصبي أو الأستاذ كل ما يعنيهن ، لا الدراسة ولا المعرفة ، ذلك آخر ما تفكر به المراهقة من زميلاتي ، الرجل يتصدر أحاديثهن ، أجد الغرور ملزما لتصرفاتهن ، هذه تعشق ابن عمّها ، وتلك تهتم بابن جيرانها ، والأخرى تترقب أستاذ (فلان) ، أما أنا فلا يزيدني الوضع إلا كراهية لمراهقتي المحتجزة خلف أسوار أهلي .

لهم الحق في ذلك ، لكن مَن يعذرهم وكلّي تَرغب بان تنتصر ملامحي على الآخرين ، وكيف لي ان انتصر وأنا بعيدة عن الآخرين .

محاولة واحدة في الإعجاب وفشلت ، لم اجرّب غيرها ، لماذا فشلتْ ، لا احد يعلم إلا الراسخون بالعشق .

كان شابا وسيما ، يبادلني النظرات عند قدومي إلى المدرسة ، أرسل لي عدة رسائل عن طريق أخته الصغيرة ، لكنه توقف ، ما عدت أراه ، ربما وجد فتاة أجمل مني ، أو لأنني لم أبادله الرسائل ذاتها ، الوضع صعب جدا بالنسبة لي ، جرأتي ضعيفة . . لا أستطيع أن أتجرأ لكتابة رسالة واحدة ، الشعور بالخوف ينتابني ، ويحيط بي من كل الجهات .

obeikandl.com

اللعنة عليه جعلني واهمة به ، ورحل من دون رجعة ، لم اعد أراه ، اقلّب رسائله بين فترة وأخرى ، احسّ بكلماته ، ومشاعره، لكنه لم يعد موجودا ، لا اعرف لماذا تزداد رغبتي في لقاءه ، كنت أتأمل أن يكون معي ، أتحسس نبضات قلبه ، ملامحه، مراهقته ، أودّ لو ينتشل أنوثتي ، لكنه غاب ، فغابت أولى محاولاتي بالفشل ، والسبب إما أن يكون بي أو به ، كنتُ أترقب غيره إن لم يأت هو ، لكن الرغبة بالكراهية تزداد يوما بعد يوم ، إلى أن وصلتُ لامتعاض أكيد ، قد تلعب الصدفة دورا سلبيا في حياتي .

لا حاجة لي بان اسمع حكايات العجائز ، وهنّ ينقلن بطولاتهنّ مع أزواجهن ، جدتي مثلا كانت بطلة إحدى الروايات، أحاديثها ما تزيدني إلا خيبة أمل ، فمن أين أأتي بشخص مثل جدي ، لأضفر به ، جدتي أجرأ مني ، على الرغم من قسوة التسلط .

كانت تتكلم واثقة من نفسها ، وهي تُدخن ، تمسك السكارة بطرف أصابعها ، وتضعها بجانب انفها ، تستنشق نفسا عميقا ، ثم تُخرج الدخان من انفها ، وكأنها تصل إلى ذروة الحياة ، تبتسم

بعد كل نفس عميق من السكارة ، ثم ترفع حاجبيها ، وهي تتباهى بشخصيتها ، وكأنها كيلوباترا ، تتصور أن لها إمبراطورية خاصة ؛ لأن الجميع يخدمها بحفاوة .

أتمعن بها دائما ، يزداد تمعني ، تنتهي السكارة ، ويبقى جمرها ، يلتصق على أصابعها ، لا تحس بانتهائها ، تأخذها المتعة بالحديث ، ونحن نترقب كل كلمة تخرج منها ، تستمر بسرد حكاياتها مع جدي ، كيف كان يضعها على حصانه ، ويجوبون الأرض ، يسقون الزرع ، ويحاولون صيد الطيور . .

حياة رومانسية بطعم الريف .

كل لحظة كانت تردد لي :

- " مو مثلكن . . بنات هل وقت . . لا شغل ولا عمل . . "

- اضحك ضحكة بؤس ، لأنني لا استطيع الدفاع عن حالي ، سيعتبر ذلك استعلاء على من هي اكبر منك ، سأكون سيئة لو تكلمت أمامها بجرأة ، سأزداد حماقة ، وسأدعى بالوقحة وأنا بنت مراهقة .

عاداتنـا في القـرى أو المـدن الصـغيرة ، أن تصـمت الفتـاة ، خاصة في مثل هذا السن ، يُفترض أن ابتلع كلماتي ، وأكون ذليلة أمام كبرياء الجدة .

مـَنْ يدري أو يعي أو يستطيع أن يكتشف مدى معاناتـك ؟؟ فالصمت خير وسيلة للبوح .

لا أريد لحكاياتي إلا أن تكون ذليلة ، غير مترهلة ، أمـام قهـر وجبروت الآخرين .

سأصمت ، وأنا مستلقية وحيدة بالقرب مـن جـدتي ، وهـي تسرد لي أحاديث بطولاتها ، وعشقها الأول مـع جـدي ، وكيـف كانت تنتظره ليلا للقاء به . .

وربما الاستمتاع بقبلة أو لمسة أو . . يعلم الله مـا الـذي يحـدث بينهما خلال اللقـاء قبـل الـزواج . . وهـي كـل لحظـة تقـول لـي بتعصب :

- ما تستحين يا بنت ، غطّي وجهك .

" غطّي وجهك " نعم ، كي لا يراني احد . .

هي هكذا الحياة ، نبحث عن شرف الآخرين ، ونحـن شـرفاء جدا ! !

obeikandl.com

أمنياتي صلعاء ، مثل شارع غير مبلط ، مثل جمجمة بلهاء ، لا يسكنها إلا أزيز العفونة ، كيف لي أن أزرع حياتي بالورد ، وكيف لي أن أمشط أمنياتي ، ولم تنبت فيها تراتيل الأمل . . كلماتي عطشى . .

طفح الكيل ، وتلاشت مهمتي مع الآخرين . .

قالت لي أستاذتي ذات فشل :

- حاولي أن تصنعي من الفشل نقطة انطلاقة . .

- وكيف لي أن أصنع الانطلاقة ، وفمي مصاب بشلل العادات السيئة . .

- تبسّمت حينها وأجابت : ناجي ربك . . علّه يلتفت إليك ذات يوم كأنْ تستيقظين فتجدين العالم قد تغير .

- أجبتها بابتسامة خفيفة تنم عن قبول النصيحة .

أستاذة أخرى ، حاولت أن تنصحنا فأضرّت بنا من دون أن تعي ذلك ، كانت تدرّسنا الأدب الجاهلي ، وكثيرا ما تردد قول

obeikandi.com

طرفة بن العبد :

أرى العمر كنزا ناقصا كل ليلة . . وما تنقص الأيام والدهر ينفد

انتابني شعور غريب ، عند سماعي هذا البيت ، حفظته عن ظهر قلب وعقل ، أصبح هذا البيت مثالا لحياتنا المنتهية بغمضة عين ، بدا لي الليل بوصلةً لانتهاء الزمن ، رويدا رويدا ، ليلة ليلة ينتهي الزمن ، وما زلنا نتجادل عن أزمات المستقبل ، وحياء الناس .

صرتُ عاجزة عن رؤية الأشياء البعيدة ، لا احد يعي نفسه إلا المجانين ، لا أجد ثمة عاقلات ، جميعهن مجنونات ، تربطهن تاء التأنيث الساكنة ، إلا أنا ، عاقلة من نوع هزلي ، تربطني تاء التأنيث المكسورة ، صرتُ مكسورة الخاطر ، يتيمة الأمنيات ، مثلي قد يكون فرحا ، في الوقت الذي نحيا به ، والزمن الذي نعيش فيه ، غير أن عاداتنا والتسلط الذكوري المهيمن علينا ، أورد لنا بؤسا شديدا .

أخذ الليل يرتدينا حكايات للنوم والأحلام السيئة ، صار الواقع هزيلا أيضا ، بالنسبة لي على اقل تقدير .

ستقولون عني متشائمة ، سأضحك لحظتها ، تعالوا والعبوا دوري في الحياة ، ستموتون ألقا ، وتتألقون موتا . ستمضغكم السيئات والخطايا ، ، خطايا الوحدة المهضومة تحت سياط الألم والجوع والتسلط .

تعالوا وجسّدوا الروح التي فيّ ، أنا لوحة حزينة ، ألوانها تشبه غواية المساكين ، وتجاعيدها كأنها صبر المحتاجين .

أنا محتاجة لأن تكون تاء التأنيث الساكنة ، ساكنة وسط ترهلات الزمن ، سأشكك في أنوثتي ، تحمّلوني قليلا ، انتم لا تعرفون ما اعرف ، ولا انتم تعيشون ما أعيش ، لكم حياتكم ولي حياتي ، أنا وحيدة كما أنا .

لا أعي من ألياف ماضيي إلا سمفونية الأسى ، ومن حبال ذاكرتي إلا درابين ضيّقة ، لا تمت بصلة لضرورة تجلياتي .

ها أنا ، لا ذاكرة لي ، أيامي رخيصة ، أحسستُ بسوء الهواء ، ثقيلا يبدو على قصباتي الهوائية ، أريدُ هواء صحيحا ، خالٍ من أنفاس المارة ، كرهتهم جميعا ، لا يأتون لنا إلا بالأخبار السيئة ، كما الهواء السيء الذي يخرجونه من أنفاسهم .

أكيد كلما ازداد صدقا ستعتبرونني كاذبة ، وكلما أكثرتُ من البؤس ستوصفونني بالمجنونة ، هذا صحيح أنا كاذبة ؛ لأن الحياة مجرد كذبة ، وأنا مجنونة ؛ لأن المجنون سيعيش عاقلا ، والعاقل مجنونا . .

كنتُ كلما تمعنتُ بوجه السكون ، والصمت ، والعزلة ، كانت تصفعني يد الوجود ، هل أنا موجودة ؟؟

أتحسس شيبتي . . أنا اذاً موجودة وسط شيخوخة الأيام . .

اتعثر بالبكاء ، بكائي وحيد كما أنا . .

لا أحد يعي البرد إلا جدران غرفتي ، ولهفتي بالعيش تارة ، وباليأس تارة أخرى ، كان ألم البرد يصرخ بي :

لا تخونين ذاكرة الشتاء . .

فالكل ساروا على شتاءاتٍ لا يعرفون معناها . .

لا تخونين بصركِ وأنتِ كما الأعمى ، كُوني كالأعمى . . كما الأنبياء الذين لاَ يبصرون إلا زوجاتهم وهنّ يغسلن نُبل وجودهنّ في طهارة الملائكة . .

لا تكوني كالذين تقبّلوا دعوة الغيم أنباءً من ذكرياتٍ عقيمة ، فكانوا رعاة لها . .

لا تخونين ذاكرة الطين ، وهي تصلي للماء وقت رخائها . .

لا تكونين راعية للغيم ، كوني منفردة أيتها السومرية وأنتِ تعيشين حافية من دون روح .

كنتُ راعية للغيم ، معانقة برد الشتاء ، هاضمة بزوغ القمر ، شاتمة لحظات البقاء بين أنين جدتي ، ولؤم أمي ، وآثام الآخرين .

سأظفر قصيبة رغبتي ، وأقص عتب الوجوه ، وهي ترمقني غضبا ، وأحوك منازل الطين على فلول الرمال والوحل ، مع الأطفال ، لأكون طفلة تغتسل بماء سنابلها ، كل سنبلة من عمري، ستثمر سبع سنابل ، سأهزها سنابلي ، فيتساقط العمر وجعا منسيا ، سأصلبه على مرأى من مناسكي ، لأكون عارية ، أُلهب عريي في لحظات الوحدة ، وبذلك أكتب إنني وحيدة ، لا يطفئ ناري ، إلا أنا ، لا غير ، وحيدة كما الثلج ، لا احتاج إلى شمسٍ تُذيب ألمي ، الثلج الم ابيض ، سأكون ألما ابيضا ، من غير سوء .

أطلتُ الشكوى ، وأكثرتُ من التشاؤم والحـزن ، لا فَـرح في حديثي ، سأكون ممتنة جدا لمشاعري ؛ لأنها تكـتم الفـرح في بقايـا الوجع المخبوء في قلبي ، سأفرح حتما ، ريثما انتهي مـن تفاصـيل الحياة .

كلما فكرتُ بهذه الدنيا ، انتابني صمت مخجلٍ ومحيّـر ، نحـن نعيش في دائرة لا نخرج منها إلا ونحن متخمين بظلالٍ مبين .

للآن حبر مأساتي

" باكر " . .

" باكر " . .

" باكر " . .

كلمة أرددها في قلبي ، فحفظَتها سنواتي العجاف .

للآن أستظلّ بشـجرة البـاكر ، أغلـب أشـجار العـالم معتـبرة ظلها ، إلا شجرتي ، لا شرقية ولا غربية .

أوّاه يـا شـجرة الوحـدة ، وأنـتِ لا تقـبلين القسـمة إلا علـى نفسك ، أوّاه يا باكرات العالم أتعيشنَ مثلي ، تحت سلطة العادات والتسلط ، لمَ لا تبوحنَ بما أبوح ، لي بَوْحي ولكم قيحكم أيهـا المتسلطون علينا وانتم تنعمون براحة البال .

صعب جدا ، نعم صعب جـدا ، لـو اخـبر أمـي بمـا اشـعر ، سترمقني بنظرة شرّ ، بل ستقتلني حتما ، وأصعب مـن ذلـك لـو أخبرتُ جدتي بما ارغب ، ستجعلني قبرا منسيا . .

تُف عليكم أيها المجانين وأنتم تتوضؤون بداء النفاق ، أنا لـن أعيش أكثر مما تعيشون ، وانتم ميّتون اقل مما أنا ميّتة . .

لم أكن أتلمس من تجاعيد الآخرين إلا نباهتهم في الاحتيـال ، وأنا المنتظرة ! منتظرة مَـنْ ؟ لا يعلـم إلا الله والراسـخون بـالزواج . .

سأعيش الحيـاة بحلوهـا ومرهـا ، بطغيانهـا وجبروتهـا ، هـي هكذا الحياة ، كل ما نحتاجه منها هو حلم يقرب إلينا الوجود .

كل ما نتمناه . .

أن نعيش عيشة سعيدة لأن الحياة جميلة ورائعة شريطة ان تكون هناك محبة ومودة بين الناس .

نريد أن نبدأ بصفحة جديدة في كتاب جديد ، في هذه الحياة ، أولها ابتسامة وآخرها سعادة . .

لا أن نعزف للوجوه ترانيم الرحيل . .

الرحيل إلى عالم مجهول ، أو الانطواء تحت الذات المبهمة في زمنٍ سرقنا منه ماء الوجه ، فراح يسلب منا ماء الوجوه .

ما كنت أتعلّم من الحياة إلا أقصوصة المراجيحِ الأنثوية ، و فراسة الشهوات أو الصلاة التي تتعفر في جبين الوقت .

لم تزل لذة الاحتيال على نبرات الوجوه المهملة كقناديلٍ مأخوذة للجبروت .

ما كانت حياتي تضيء إلا سماء لذتي كي أكون موتةً صغرى .

أتمددُ كسنبلة ما بين عطر سماري .

ما زلتُ أُبطئ اللهاث إلى قمح مناسكي ، كي لا تكون الفضائح أخرى .

obeikandi.com

كومضة برق ، كالوقت تسلبني المناجل في ارتخائها ، لا أمتـدُ سوى جسدي المعتوه يمتدُ كإسـطوانات فارغـة في طريـق التيـه ، كامتداد أرغفةٍ يابسةٍ إلى أفواه الجائعين .

لا أكون إلا ثوان من وقـتي العـذري اقبّـل في ارتخـاء الأسمـاء على مدابغ جدرانها . .

لا شيء أطهر من أن تكونين عارية في ماء . .

لا شيء أقهر من أن تكونين إبليسا في عذراء . .

ماذا لو كثروا كالمرايا في اشتهاء العذارى ، لمدوا طرق الأضواء بلا ملابس، وجردوا الملابس من الإنسان . .

فالوقت ما زال ضباب . .

لم تعد الرجال رونقا للنساء . .

ولا النساء فاكهة للرجال . .

لا شيء يومض بالبريق إلا شهوات الجائعين . .

لا شيء يسمح بالخميرة أن تجف إلا المدمنين . .

لا شيء أثوب من قلبي إلا أنا .

opeikandi.com

أنا فراشة الريح . .

سأبحث عن ضوء يأوي وحدتي ، سأحترق ربما ، لأكون حياة من ضوء .

سأفتش عن بوصلة تدلّني على الطريق الصحيح ، لي مفازاتي التي ارتضيها ، وبي خسًاراتي التي أعيها .

سأنتظر القادم . .

مــَنْ سيكون الآتي . .

ربما سيأت إليّ بفَرس ، أو على بساط الريح ، المهم أنه يأتي، يأتي ، لا أستطيع أن أتفوه أكثر من كلمة " يأتي " وسأنتظره ، على احرّ من الوجع ، سأخاطبه كل يوم :

- يا أنت . . أيها القادم من الأرض أو القمر . . المهم أن تكون إنسانا . . رجلا من لحم ودم ، سأحتفظ بجسدي طريّا ، سأحافظ على موانئ إنسانيتي ، لتعبر من دون عناء . . سأناجي الرب . . سأناجي ذاتي . . ، سأناجيك يا أنت . . أيها الرجل . . بل سأناجيك مع أنني لم أعرفك بعد . .

كان الوجع يسبني :

لا تكونين عاشقة يا طفلة البراري

أجّلي (ضيمكِ) لأسفار أُخر ، لا تكونين عاشقة للغرباء أبدا

أسمعي حِكم العجائز في قُرأنا وهنّ يُلففن (شالاتهنّ) شرفا وحياء

لا تكونين عاشقة يا مراهقة الموت وأنتِ تبتلين بماء الفراق يوما بعد يوم .

أجّلي (ضيمكِ) لآخر زمان من عمركِ علّه يحن إليك ويأتيك شيخا عتيقا .

كنتُ حالمة ، ، أنام على دفئ المواويل الحزينة وأستيقظ مودعة أرق الشلب المموه بالماء العتيق استيقظ هاربة على عجلٍ بين السطور .

أحيي لهاث قمحي . . كي لا يموت قمح لهاثي

سننتظر ، وننتظر ، حتى تنتهي أعمارنا مآسيا ، أو لتنتهي المآسي من أعمارنا ، حتى الفرح كان ممزوجا برائحة الموت والحروب .

كنتُ أتذكر كيف كانت النسوة يمزقن ثيابهن ويصرخن في حاراتنا الضيقة بكاء على الجنائز التي تؤوم إلينا من الحروب ، وهي ملفوفة بالعلم . .

كنا وما زلنا ندّخر الصبر ، ليوم غير ذي حرب . . وكم ادّخرنا الحكايات والأعياد والأغاني القديمة ليوم لم يُبشر بالخير ، كنا ادخرنا الحنطة والموت والوجوه العتيقة .

كلما قالوا لنا :

ادخلوا مساكنكم

لا يحطمنكم الأمريكان وجنودهم وهم يشعرون

- تبسمنا ضاحكين ، وقلنا : لنا رغبة بالعيش ، حتى وان كان الخبز المجفف يكسر ظهورنا ، لكنه يعيدنا للحياة بلقمة واحدة .

لا الأرصفة تهوانا . . كسرنا ظهورها مشيا ، وعبرنا على رقاب جسور الضيم حتى تهادت الشواطئ منا غرقا .

كنا كبارا منذ طفولتنا ولليوم . . . كبرنا ١٠٠٠ عام

آدميون أعمارا

obeikandl.com

لا تجارة لنا سوى رعي أنفسنا ، كم تعبّدنا بغار الذكريات !

لم ينزل وحي علينا للان . . ونحن ننتظر . . . .

obeikandl.com

كل ممنوع مرغوب في حياتي ، وكل مرغوب ممنوع ، نتصور أنفسنا إننا أنبياء ، لحظات الوهم ، وواهمين عندما نتمعن معنى الألوهة في زمن الكبرياء .

شرّ البلية ما يضحك ، وخير الضحك ما يُبلي ، نعم بُلينا بداء (الأنوثة) و (الرجولة) الأيام حبلى بالمفاجآت ، وخير مفاجآتي إنني لم أرَ إلا حالي ينتظر الرحمة يوما من ورد المساء وقيامة المجهول .

لحظات الأفق حين أتأرجح على مصطلحات الحكماء والفلاسفة في الحياة ، كما الحكمة التي أحفظها وأرددها دائما : " **لا يجب أن تقول كل ما تعرف . . ولكن يجب أن تعرف كل ما تقول** " .

كنتُ كلما كثرت من عبرة الحياة تتوجب لدي فكرة الغيب ، أن أحرص على مرأى حكايات الآخرين وتطلعاتهم لئلا تجد فرصة الغيب المتواردة عن الخلف ، سأعيش قدّاس الحب من أجل الحب .

سأورد كلماتي طيبة المعنى ليظل الشكل معبرا بأقل تقدير على فراشة الروح ، فالأسماء تؤجل قدري وفرصتي في الخوض لاكتشاف أسرار الكون المتمادي عبر أسئلة الظل ، والمنهارة باتجاه ظل الأجوبة .

بدأتُ أنسى شكل تجاعيد ذكرياتي المختلفة ، كبرتُ وكل شيء فيّ كبر ، أنوثتي ، جسدي ، ملامحي ، إلا عاطفتي ، لم تزل تنبض بالبراءة .

لا نعلم أي شيء من أيامنا إلا الركض خلف أسئلة النهاية ، وجنّات اللعب ، أما اليوم فلعبنا من دون براءة في بعض الأوقات، وبراءتنا من دون لعب ، تحكّم فينا القدر ليؤجل مرضاة العشق علينا ، ويفقس صفقات الروح بنا ، لم نكاد نستعجل إلا بلغة الضمير ، نعجلها على مرأى الأزمات .

مَنْ يخلق روح الأزمات في بوتقة الجمال ، لا أعلم معنى الجمال في بلدي ، عري العشق أم عشق العري ، عموما ستظل فاكهة التفاح والصنوبر ، سيان في بلد ملؤه الفتن والانقسام بلغة القلوب ، بلد الثلج يُحتاج إلى نهار تهدئة ، لا إلى عسرة هضم وارتداء الندم .

كلما أشرقت الشمس في بلادي ، وغنت فيروز أجمل الأغاني :

(يا طير يا طاير على طراف الدني

لو فيك تحكي للحبايب شو بني

يا طير و اخد معك لون الشجر

ما عاد في الا النطرة و الضجر

بنطر بعين للشمس عبرد الحجر)

تتابعُ نفسي روح الحياة ، لكنني كلما شاهدتُ التلفاز ، وتلك اللعنة المورقة في أرض السياسة ، تشتت روحي نصفين ، نصف أود لو أن يلتحق إلى الرفيق الأعلى ، ونصف أريد أن أودعه للنوم علّه يحلم بانتصارات قادمة من دون حرب .

كنتُ وما زلت أتذكر قول سقراط : (**الحياة التي لا تخضع لاختبار لا تستحق أن يحياها إنسان**)

ما أريده وأوده أن أحيا وسط اختبار الحياة ، كانت الأيام بالنسبة لي شكلاً من الحساسية المفرطة وسط هالة من القلق ، في السياسية والاقتصاد و و . .

obeikandl.com

تمنيتُ ذات مرة لو أعيش خارج الوطن ، الوطن الـذي كـفّ لغز غيره ، ولم يفكّ لغـزه ، لكـنني كنـت احـسّ بطعـم التـنفس فيتوقف لدي شكّ الهروب منه والابتعاد عنه .

كم تمنيت أن يتشظى بريق الشوارع ليملأ مـن بـراءة الأطفـال ضحكاتهم الحزينة علـّهم يكبرون على أدمع الجـدران ، ولينحتـوا من أباريق الوقت أقلاما يقطعون بها سـيوف الحـرب ، و ليمحـوا درسنا القديم : ـ كيف تقاتل أو كيف تموت ؟ !

سأعود اجمع نفسي بعـدما بعثرتهـا الليـالي والحـزن القـديم ، سأترك ليالي وجعي الباحث عن مأمن له من الحروب .

أنا خديعة الآخرين حين يحوكون أودية الضوء ظلاما . .

سأنحتُ من لغـتي وطنـا صـغيرا . . سـأعيش فيـه رغـم كـبر خطاياي .

بالأمس . . ترهّلت اللغة على أعتاب المارة جميعهم قطعوا الهواء عنّي . .

كيف لي أن أتنفس الهواء الملوث . .

وكيف لي أن اسمع الكلمات المتسخة . .

لا يحلو لي الجلوس إلا مع أوراقي المبعثرة ، وذلك الصمت المطبق على المعنى ، تكوّرتِ الكلمات الغارقة في إسفلت الصمت المعبد على لحظات اليوم .

ربما سأبيع مناديل رغبتي الجائعة ، سأشتري رغبة المناديل الغاصة بالأمكنة العتيقة . .

الكلّ ناموا . .

جميعهم ناموا . .

النجوم ، القمر ، إلا أنا وذلك الليل المتقيأ على نفسهِ كل ظلام . .

obeikandi.com

مـــَنْ سينام غيري في هذه الساعة من الدجى ، لا احـد يريـد الاستيقاظ . .

جميعهم نائمون . . الناس والكلاب ، حتى ديك البـدو يغـرق في نوم كئيب ، سأتفرغ لأن أنام وحيدة من دون رغبة بالنوم .

سأنام وحيدة ، لا زوج بدين لي . . أنا الوحيدة أتقاسم الليـل على حواسي ، علّها تنصر الورق الأليم ، سأدوّن آخر حـرف مـن أنباء اليوم ، سأعيد قذارة اليوم ، لقـذارة جديـدة ، اقصـد لجمـل أكثر فائدة من هذا الهراء ، هذا السكون والصمت اليومي .

سأنتهي حتما مـن أسـئلتي لـذاتي أو سـتنتهي بالتأكيـد ذوات أسئلتي ، الأجوبة والأسئلة مثالان لقريـة جائعـة ، قـريتي جائعـة جدا ، حيث التاريخ مهشم ، والوقـت يعـود للـوراء ، والوجـوه مبهمة ، والفواكه مرّة ، والكلام قبـيح ، والـورود غـير سـعيدة ، والفقراء أقزام جدا ، والسياسيون في بلدي عاطلون عن العمل غير انهم من نعمة بلدهم يـُرزقون ، (كروشهم) منفوخـة تعـاني مـن الإعياء المفرط ، تشبه إلى حدّ قريب مؤخراتهم الكبيرة .

والأغنياء مشغولون بإطعام الفقراء مقابل الولوج بزوجاتهم ، والأغبياء مشغولون بتعليق صور السياسيين استعدادا للانتخابات مقابل وجبة سريعة من (الفلافل) .

ونساء مؤمنات يدرسن في الأميّة مقابل ثلاثة دولارات كل درس ، يتعلمن فيه دار دور .

ما أجمل الوطن ! حين نتعلم فيه الدار دور في سنّ الخمسين ! !

وأطباء ماهرون يتقاضون رواتبا إضافية للنيل من المرضى ، ومقاولون فاشلون يتناوبون على أعمار أرصفة البلد كل عام من اجل ان لا تترهل الشوارع فيتمدد الإسفلت جانبا ، فيتعثر المواطن . . مقاولون لا يتساقطون ما دام البلد لا يتقيأ إلا الأرصفة .

وتجارٌ يبولون من الضحك على ذقوننا ببضاعاتهم المنتهية الصلاحية ، صالح لمدة سنة بعد تاريخ الإنتاج ، وتاريخ الإنتاج غير مدوّن ، شكرا لكم لأنكم أحياء ونحن ميتون من الأمراض والبكاء .

وعشّاق ماتوا من العشق . .

العشق في مدني وهْمٌ مضطرب .

العشاق سواسية ، وجوههم فضاء من التعب ، في الهامش من التمثيلية زيف ودهاء . .

جميعهم متلونون بلون قرمزي ، ، يشبه ابتلاءاتهم الداخلية الساترة لمؤخراتهم المتخمة بالبلاء . .

جميعهم مروا من هنا . .

الجنود والغرباء ، العشاق والفقراء ، عبروا متْن الليل اشتياقا شدّوا ضفائر المساء . . لعبة يختبئون فيها خيفة أن تُقَص جدائل الخريف ، أوّاه . . لما هذا التدلل . . لما هذا الكبرياء ؟

لي من لغة الرجال مواويلٌ ، ومن مواويل اللغات نساء ، لن ندري ما كان أو ما سيكون ، غير حبّات الضوء وهي تسطع على بقايا القمح .

وبقيت أنا . . وحيدة . . كما المدينة الخائفة ، ، تنتظر الحلم يجيء . . مثلي تماما . .

مذ كنت طفلة كان الصغار يحلمون بمدينة غير ذي حرب .

كان الصغار معي يحلمون . . أن يكون القادم خير . . يليق بأنفسنا .

و الساعة تعبت من الانتظار ، لـدي . . الحيـاة رتيبـة جـدا ، الوقت تعب مثلي . . . ينتظر نـومي ليتوقـف قلـيلا علّـه يسـتيقظ صباحا ليبدأ نهار جديد ، أمسه مثل يومه ، حيث لا جديد . .

obeikandl.com

تتشابه الأيام مع بعضها ، لا اختلاف إلا في الفصول ، الشتاء والصيف إيقونتان لرتابة واحدة ، نحسّ إننا في خانة من الذكريات والأشرطة القديمة ، تُعاد على مرأى عيوننا ، ومسمع آذاننا كل دقيقة ، القوانات ذاتها ، والشمس ذاتها والمطر ذاته ، قد تُبللنا الأمنيات والأحلام ، لكنّ الأمل يبقى قريبا من السحاب بعيدا عن الأرض ، وربما العكس صحيح كي لا نفقده ، ذلك الأمل المبتعد عنّا ، أنا متشابهة مع نفسي لا تغيير في ذاتي ، الأيام تشبهني أيضا احسّ بكلّ تقاويم السنة لا جديد حتى التواريخ المتقاربة لا تدعو للتفاؤل ربما ٣ـ٣ـ٢٠١٣ اللعبة بالأرقام أمرٌ مزعج ، لكن الصدفة قد تلعب دورا في أمور حياتنا ، جدتي كانت ولم تزل ترغمنا على الإنصات لحكاياتها وبطولاتها وحكمها ووصاياها من الماضي ، كانت ترفع ثوبها عن ساقيها لترينا خدش الشوك الذي كان يصبها أثر العمل في الحطب او الزراعة وهي تعيرنا بالنوم بلهجتها البسيطة :

- " لا شغل ولا عمل . . نسوان اليوم ونسوان قَبل . . نسوان هلْ وكت عوبات " .

- نصمت خوفا منها . .

أصمت كالعادة . . لا أجيبها ، الصمت دليل لاحترام الكبار ، هذا ما تعلمناه وإلا سأكون امرأة عاقة جدا . .

تغيّرت بعض الأشياء اليوم ، خاصة ونحن نترقب لعالمٍ يقيس الأمور عن بعد ، كل شيء أصبح عن بعد ، لا ذوقَ للأشياء البعيدة حتى وان تراها عن طريق شاشات التلفزيون مثلا .

الحقيقة قد تكون مفقودة للآن في قرأنا ومدننا المتشحة بالمقابر ، الحروب التي نراها كاشفة فرجها لمدننا المستحية من فحولة الموت .

مُذ كنا صغارا كانت أمي تحاول أن تطرد الشرّ عنا بإشعال الحرمل أو قراءة بعض آيات الحسد ، الحسد مِنْ مَنْ ؟ وعلى ماذا ؟

هذا هو المضحك !! الحسد على ما نملكه من بيت قديم لا يسع لأمنياتنا أو الحسد على امرأة مثلي لم تتزوج للآن .

كم أتساءل للحظة هذه :

- كيف لنا أن نكون سعداء ونحن نحمل التناقض في صدورنا ، الناس عورات كلهم عورات . . لو كان الهواء يُباع لمات الفقراء ، لأستغلّ الأغنياء الهواء ، واستثمروه في مشاريعهم الغبية .

كم حملتْ أسماء قيثارة أيامنا فوق متونها أوتارا مزيفة لا دليل فيها ولا بوصلة لها .

لا يهمني غيره . . سيجيء ربما سيجيء سننتظره حتما ، أنا سأنتظره على احرّ من الكلمات انتظره هو مفتاح الخلاص ، ذلك الرجل ، الحقيقة لا الوهم ، سيجيء كاسرا الحان اللهجات المزيفة، سيجيء حتما يفكّ شفرات الخوف ، وعازفا لغة التراتيل القديمة . .

أنا طفلةٌ ، سأكون ربما . . أو سأكون عجوزا من دون سوء . .

لم أزل على وتيرة واحدة ، سأصبو كطفلة جائعة للعب ، ومتلهفة نحو الأطفال الآخرين ، سأكون ورقة بيضاء ، ستصفرّ يوما ما ، ربما أتعبت جدران غرفتي من تشاؤميتي ، لكنني مع ذلك أجد ثمة حقيقة لا بدّ قولها ، ومشاعر خفية ، يجب أن أبوح للآخرين بما أحسّ ، ربما أرى من تناقض الروح أولا والمجتمع ثانيا .

كل ما أملكه من يومي تلك الليلة ، أو بالأحرى ، كل الليالي سواسية بالنسبة لي ، كما هذه الليلة ، ليلتي متشحة بالظلام ، يخيّم الدجى على غرفتي ، وأنا مستلقية على سريري ، اعدّ العدة لأحلام بائسة ، أضع خفيفا من المكياج ، ارتّب حالي وجهي من البودرة ، والألوان ، ليظهر وجهي بحلّة جديدة ، ربما سيراني ذلك الملعون في الحلم ، أو أراه ، لا فرق ، المهم إنني أراه . . أتلمسه . .

حقّه إن لم يأتِ ؛ لأنني أستلقي ليل نهار إما بغرفة بين أربعة جدران .

حقيقةٌ متجردةٌ من كنهها ، لم تتبقَ غيري ممن يؤدون فراغهم التام وغير المكتمل .

لم تتبقَ إلا أنا ، وتلك الجدران ، يحتضر لدي الجسد ، فأحاول أن أحييه ، وتنام جوارحي فأوقظها ، أُجاهد في سبيل أن أكون أنا ، لكنني افشل كل مرة ، وكل مرة يناديني الألم صارخا، فأناجي ربي :

أوّاه ربي

وأنا أستلقي وحيدة كل مساء

أرسل لي ملكا يوقظ رغبتي بالحياة

اجعلني قصيدة وانسبها لشاعر من عبادك

اجعلني ما تشاء ، إلّا امرأة بين أربعة جدران

هذا ما لا أطيقه

ربّي اجعلني ممن يرغبون الحياة

اجعلني أُليق بنفسي

سأعيش . . نعم سأعيش إذاً . .

obeikandi.com

وانتظر عافية الغيم ، توقظ عشبة الأرض ،

ليتني كنت عشبة صافية خضراء مثل قلبي عندما كنـت طفلـة . .

سأوقظ كل الذين يسمعون صمتي الهجين علّهم يأتون . .

لعله يأتي . .

obeikandl.com

سيمتدّ وجه الشتاء ، ليربطني ببرده إلى دفئ الشاي ، وحـرارة المدفأة الزيتية ، أحاول أن أكون طفلة أنام بذهن صاف ، واستيقظ براحة تامة ، لا شيء يشغلني سوى بريـد الطفولـة ، لعـب واكـل ونوم لا غير .

كيف لي أن أتخيل لو كنتُ طفلة ، في قمة الطفولـة ، لحظـات مسرعة تمرّ ، وأخـرى بطيئـة تجـيء ، تنـاقض عجيـب ، وتصـوّر أغـرب لمـا يجـري في هـذه الحيـاة ، الحيـاة كذبـة يطويهـا الـزمن ، فتنكشف فارغة مطوية على ذاتها .

كيف لي أن أتخيل المرأة وهي تنتظر الرجل ، وتنتظر حظّهـا ، وتنتظر مولودها ، وتنتظر نحبها . .

والرجل يضع قدما على قدم ، ولا يعي من عـذابها شـيئا ، لا أريد أن أحاسب وهما ، لا ألمسه .

كيف لي أن انتظر كل شيءٍ . . يكون الرجل تارة بالونا فارغا بالنسبة لي ، وتارة أخرى لا نستطيع العيش من دون ذلك البالون . .

الرجل عكّاز منكسر من دون امرأة ، يحتاج إلى أمل أعضب ، المرأة أمل أعضب ، المرأة بحاجة إلى عكاز متكسر . . لوحتان لفكرة واحدة .

من يشتريني ، لسوق المزبلة القديمة ، لا احد يريد لي الخير ؛ لأن الجميع معاد .

الجميع مُعاد ، لا احد يريد لي الخير ، وأنا أريد الخير للجميع .

لم يتبقَ لي في هذه الدنيا ، إلا جدتي وأمي ، عجوزان تنتظران نحبيهما ، سأكبر مثلهما ، سأعيش بين أنقاض الماضي ، وأدران الحاضر ، أما المستقبل فلا أعيه . ما الذي سيجري ؟

ما الذي سيحلّ بامرأة مثلي ؟

هل ستصبح عتيقة في صباح ما ؟

ربما سأكون أغنيةً غير صالحة للحياة ، أو ربما العكس ، ستتغير حياتي بطرفة عين ، سأحاولً أن أتفاءل ، التفاؤل نصف الأمل ، سأعيش بنصف أمل ، سأنتزع لغة الماضي من صدري ، وأحاول أن أكون امرأة تروي الآخرين بحكاياتها وكبريائها ، سأكون نخلة لا تهزها الرياح ولا يتساقط رطبها بحصى المارة .

لم تزل جدتي وأمي ، كشجرتين خاويتين ، وجه كل واحدة كورقة يابسة تنتظر نحبها .

ثمة ذكريات تحت خيوط وجوههن ، ثمة كلام يصلح لأن يكون أداة للقتال في أية لحظة .

كل شيء في هذا العالم مصنوع للقتال ، كل وجه من وجوه العالم مخدوش بخدوش الظمأ المعبأ بحكايات تالفة ، كل وجه من وجوهنا قيامة ، كل حكاية خرافة ، كل ابتسامة تفاهة ، كل شتيمة ضمور ، كل هزيمة رجوع ، كل انتصار سخرية .

الجميع يحاولوا أن يكشفوا عن أنفسهم حقيقة اللغز المحير في أذهانهم .

ما السر ؟

obeikandl.com

أهناك سر أم هي حكايات أشبه ما تكون خرافة ؟

كل شيء وارد في هذا الـزمن الممتـد مـن وقـت إلى لا وقـت ، التناقض والكبرياء والتفاهة والبرود و و . . . . .

تصنع فينا دبقة الشبهة الفاسدة في أروقة النفـوس المبتلـة بظمـأ الحماقة .

ثمة لغز محير فينا .

كل شيء وارد في هذا الزمن ! !

إنها القيامة فوق الوجوه ، مَنْ يعي تفاصيل قراءة الأبراج ، أو من يعي قراءة الكفوف . .

نعم إنها الصلابة في أن تكون صلبا في أفواه العجزة ، والطراوة أن تكون ليّنا في أفواه الماكرين .

كل تناقض في وقتنا مقبول شريطة أن لا تكون هناك علامـات إنتاج للتلقيح البشري أو النباتي أو الحيواني كـي لا يكـون الإنتـاج قابلا((للاكسباير)) في يوم ما .

نحن . . نعم . . . ولدنا في ظـل تلقـيح طبيعـي لا اصـطناعي . . . لكن . . . ! !

obeikandi.com

سأوردُ أوراقي من جديد ، وافتح صفحة أخرى عنوانها أنا ، سأنتظر من يعنيني ، أنا سأكون رسالة إلى من يهمه الأمر .

مَـن سيهمّني ؟

ومَن سأهمّه ؟

أنا بانتظاره ، سيراني في الحلم ربما ؛ لأنني سـأنتظره في غرفـة جدتي ، سأنتظره ، ذلك الرجل . . الوهم . . الحقيقة . . الصدق . . الكذب . .

وأنا أحاول أن الملم نهار جسدي ليضيء أمام مـَنْ انتظـره ، قد لا أراه ولا يراني ، لكنني سأنتزع اليأس من صدري ، سأنتظره على الرغم مني ، ربما يأتي ، وربما لن يأتِ .

- لا

- أو نعم . . حرفان أو ثلاثة حروف أيهما أقـرب مـني ، لا اعرف . .

سأؤسس لعيد ميلادي الجديـد ، الطريـق إلى الخلـود ، سـأنام علّي استيقظ من دون حلم ، أو اخلد إلى النوم علّي أجدُ حلما . . سنبلة تنتشلني من السنين العجاف . .

obeikandi.com

أنا سنبلة . . تنتظر الحصاد . . الموعد الأخير للحصاد ربما . . لا أعرف . .

انتهت

obeikandl.com